

مكروه، وهمَّ غير واحد منهم أن يراجع الأميرة فيما قالت، ولكنها أشارت إشارة خفيفة فانعقدت الألسنة وغضت الأبصار، وانحنت الرؤوس، وخرج رجال القصر وقد أذعنوا للأمر، وقال وزير الملك: إنه مبلغٌ تحدي الأميرة للملك الجن جميعاً من فوره، وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

وعاد شهريار إلى غرفته ناعم البال بما سمع، ولكنه كان مضطرب النفس أشد الاضطراب، فلم يكن شهريار كعهد الناس به حين كانت تقص عليه أحاديث «ألف ليلة وليلة» تثر النفس، جامح الشهوة، سيئ الظن بالمرأة، مستجيباً لغرائزه حين تدعوه إلى ما تدعوه إليه من الخير والشر، إلا أن يلهى عنها بفنون الحديث، وإنما كان رجلاً آخر قد خلقتة شهرزاد خلقاً جديداً.

كان كثير التفكير متصل التروية، لا يرى شيئاً إلا اجتهد في أن يعرف مصدره وغايته، ولا يسمع شيئاً إلا جدَّ في أن يفهم ظاهره وتأويله، وكان هذا الجهد العقلي الطارئ عليه يعنيه أول الأمر، ولكنه اتصل حتى أصبح عادة لشهريار، وإذا هو مفكر دائماً، مقدر دائماً، منفق وقته وجهده في التحليل والتعليل، لا ينصرف عن ذلك إلا حين تشغله شهرزاد بجدها قليلاً وبدعابتها كثيراً، وفي الحق أن شهرزاد لم تكن تشغله عن التفكير، وإنما كانت تريحه منه وقتاً ما، حتى إذا انصرفت عنه ردتته إلى التفكير، وإلى التفكير الذي يزداد شدة وعنفاً كلما لقي شهرزاد وانصرف، وقد تركت في نفسه وأمام عقله من الألغاز والأسرار ما يكلفه الجهد المضني دون أن ينفذ إلى أعماقه.

وكان أمر شهريار قد شق على الناس جميعاً؛ فوزراؤه ورجال حاشيته قد أنكروا منه هذا الهدوء الذي لا عهد لهم به، وهذه الدقة في القول والعمل جميعاً، وهذه الدقة فيما كان يوجه إليهم من حديث، وقلة الرضا بما كانوا يقدمون إليه من رد؛ لأنه كان يريد منهم على أن يصطنعوا الدقة كما يصطنعها، ويمعنوا في التفكير كما يمعن فيه.

وإنما كانت شهرزاد وحدها هي التي لم تنكر من الملك شيئاً، ولم ينكر منها الملك شيئاً. كانت تلقى هدوءه بهدوء مثله وتفكيره بتفكير أشد منه تعمقاً، وكانت تسمع أحاديثه الدقيقة فترد عليه بأحاديث أشد منها دقة، حتى استعجمت أحاديثهما أو كادت تستعجم على الذين كانوا يحضرون مجالسهما من أهل القصر ورجال الدولة، وقد شاع بين أولئك وهؤلاء أن طائفاً غريباً قد ألمَّ بالقصر فأفسد على هذين العاشقين أمرهما، فهما يقولان ما لا يفهم، ويتناجيان بما لا يدرك، والغريب أن الملكة تفهم عن زوجها كل ما يقول، وأن الملك لا يفهم عنها إلا قليلاً! تلك كانت حال شهريار، فليس غريباً إذاً أن يعود